عبر من قصص القرآن الكريم

هداية بلقيس للحق

بقلم

محمد رجب

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

هداية بلقيس للحق.- الرياض.

٤٩ ص، ١٧X ٢٢ سم - (عبر من القرآن الكريم)

ردمك: ٤ - ٩٩٥ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١- قصص القرآن أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٢٢٩,٥ ٢٢/١٥٣٥

ردمك: ٤ - ٩٩٥ - ٢٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/١٥٣٥

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشـــــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

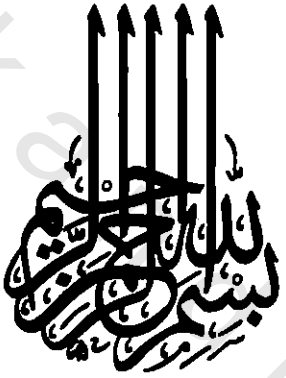

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ١٦ – ٢٦]

obeikandl.com

مقدمة

القصص الحق له في النفوس من الأثر ما يفوق غيره من قصص الخيال؛ لما في ذلك من تلاؤم مع الفطرة البشرية التي تجد في ذلك ما يشدها إليه فتتأثر به وتنسجم معه، وهكذا قصص القرآن الكريم.

ومن القضايا المهمة التي يعالجها القصص القرآني قضية الحكم الذي يقوم على العدل والحق مهما أوتي الحاكم من قوة، ومهما اتسعت دولته، ومهما هيأ الله له من أسباب النعم والرفاهية.

وهذا ما نراه في قصة سليمان عليه السلام الذي آتاه الله من النعم ما لم يعط أحداً غيره، ووسع له في ملكه، فقابل كل هذا بالشكر والحمد والعدل بين الرعية والدعوة إلى الله.

والمتأمل في أحداث هذه القصة يرى فيها من الدروس والعبر ما يحتاج إليه كل حاكم في كل زمان ومكان؛ حتى تنعم الشعوب بالأمن والأمان.

وحتى نستزيد هيا بنا نتابع أحداث هذه القصة في الصفحات الآتية.

هذا والله الموفق

obeikandl.com

وورث سليمان داود عليهما السلام

كان نبي الله داود عليه السلام ذا ملك واسع عظيم، وكان الناس يعيشون في عهده في رخاء من العيش وسعة، شكر داود عليه السلام نعمة ربه، وتزوج من نساء كثيرات وأنجب من واحدة منهن سليمان عليه السلام، ورث سليمان من أبيه نبي الله داود عليهما السلام النبوة والكتاب والمُلْك، تعلم سليمان عليه السلام كل شيء من أبيه، وكبر سليمان عليه السلام وصار شابًا صالحًا ينشر الخير بين الناس، ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد الذي لا شريك له، واشتهر سليمان عليه السلام بين الناس بالفضل والحكمة.

وذات يوم.. أصاب الناس قحط شديد، وزاد عليه الطاعون، أمر داود عليه السلام الناس أن يخرجوا معه إلى بيت المقدس، وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء، فقصده ليدعو الله فيه، وقف في موضع الصخرة، وأخذ يدعو الله في خشوع وتبتل أن يكشف عنهم الطاعون والفقر والبلاء، استجاب الله الرحيم دعاء نبيه، وأمر داود عليه السلام الناس أن يبنوا معه مسجداً في الموضع الذي دعا الله فيه، ليعبد الله في هذا المكان، شكرًا له على نعمه ورفعه البلاء والطاعون عن الناس، لكنّ الله تعالى قبض إليه نبيه داود عليه السلام قبل أن يتم بناء المسجد، وكان داود عليه السلام قد أوصى سليمان عليه السلام ببناء المسجد، وأتم سليمان عليه السلام الملِك الحكيم ما بدأه والده، بناه بالرخام، وزخرفه بالذهب

والجواهر، بناه الجن، يقول جلّ وعلا واصفًا مُلك نبيه سليمان عليه السلام: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ(١) وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ(٢) مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ(٣) وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ(٤) كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٢-١٣].

توفي داود عليه السلام، وكانت لوفاته حكاية فقد كانت جاريته تُغلق الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح، فيقوم إلى عبادته، فأغلقتها ليلة فرأت في الدار رجلاً مهيبًا، فقالت له في دهشة وخوف ورهبة:

– مَن أدخلك الدار، وكيف دخلتها وقد أغلقتُ دونك كل الأبواب؟

فقال لها:

– أنا الذي أدخل على الملوك بغير إذن.

---

(١) عين القطر: عين النحاس.

(٢) يَزِغ: يحد ويبتعد عن أمر الله ونبيه.

(٣) محاريب: قصور أو مساجد.

(٤) جفان كالجواب: الجفان جمع جفنة وهي القصعة التي يوضع فيها الطعام، وكالجواب؛ أي: كالبرك الكبار، يعملونها لسليمان عليه السلام للطعام.

سمع داود عليه السلام الرجل فقام إليه وقال:

– أأنت مَلك الموت؟

– نعم، إنه أنا.

– فهلاّ أرسلت إليّ لأستعد للموت؟

– قد أرسلتُ إليك كثيراً.

– من كان رسولك؟

– أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك؟

– ماتوا جميعًا..

– فهم كانوا رسلي إليك؛ لأنك سوف تموت كما ماتوا!

ثم قبض روحه. كان لداود عليه السلام تسعة عشر ولداً، فورثه سليمان عليه السلام دونهم، وكان عمر داود عليه السلام لّما توفيً مئة عام، وكانت مدة ملكه أربعين سنة.

المُلك العظيم

سخر الله لسليمان عليه السلام الريح والجن والشياطين والطير، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الجن حتى يجلس، وكان سليمان عليه السلام حكيمًا، وقد كان والده يستشيره في أمور الحكم والفصل والقضاء بين الناس ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[الأنبياء: ٧٩] وكان سليمان عليه السلام يأكل من كسب يده، وكان كثير الغزو، وكان إذا أراد الغزو أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره، ويركبون عليه هم ودوابهم وما يحتاجون إليه، ثم يأمر الريح فتحمله فتسير به في ذهابه وإيابه مسيرة شهرين،﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ(١) ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[ص: ٣٦-٤٠].

كان سليمان عليه السلام له من النساء ثلاثمائة زوجة وسبعمائة جارية، وأعطاه الله كل وسائل التمكين في الأرض، فقد كانت الريح تنقل إليه خبر كل حديث يدور بعيداً عنه في مملكته، وكان يفهم لغة الطيور والبهائم

(١) الأصفاد: الأغلال والقيود.
مقرّنين: مكبلين محفوظين.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[النمل: ١٦].

وقد تحدث القرآن الكريم عن قصة النملة التي رأت سليمان عليه السلام وجنوده وسمعت دبيب أقدامهم فقالت لبني قومها:

﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[النمل: ١٨-١٩].

طلب سليمان عليه السلام من ربه أن يُهيِّئهُ لشكره على ما أنعم عليه من عطايا ونعم، وما خصه به من مزايا ومنح، وأن ييسر له سبيل الأعمال الصالحات، فيهيئ له من أمره رشداً، وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين.

وذات يوم يمّم نبي الله سليمان عليه السلام وجهه إلى صنعاء، ودخل بلاد اليمن، وأخذ يتفقد بعينيه كل شيء حوله، وتفقد جُنده من الجن والإنس والصير.

كان عصر سليمان عليه السلام مليئًا بالخوارق والأحداث والمعجزات

والعجائب، جنٌّ تخدم، ورياح تسري، وطير تتكلم، ونمل تعترض، وسِحر وسحرة، وجن وشياطين، ونحاس ذائب، ونبي على بساط الريح، كان سليمان عليه السلام عادلاً رحيمًا؛ لكن العقاب أساس في سياسة الرعية..

كان الجن يخدمونه، والشياطين يغوصون له في البحار يستخرجون له نفائسها، ويبنون له القصور، ويخترعون له الصنائع الحربية، فجّر الله له بركانًا يسيل منه النحاس المصهور، فتبني له الجن قصوراً، وتصب له تماثيل للأسود والصقور والنسور، تزين بها عرشه وقوائم كرسيه، وتصنع له صحافًا كبيرة، وأطباقاً صغيرة كأطباقنا..

اتسع ملك سليمان عليه السلام وتوفرت لديه مظاهر أبهته، حتى الخيل كانت تُعرض عليه ليمتع نفسه باستعراضها، ويُشبع هوايته بالمسح عليها، والإعجاب بالأصائل المُعرقة منها.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[ص: ٣١-٣٣].

كان سليمان عليه السلام يعلم أن حفظ النعمة يكون بشكر الله عليها، وعدم الغفلة عن ذكر الله.

تذكر سليمان عليه السلام قول الله له ولقومه: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[سبا: ١٣].

قد وعد الله عباده بالزيادة إذا شكروا نعمه ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم: ٧].

obeikandl.com

النبأ اليقين

سأل النبي الملِك عن الهدهد الغائب، وانتظره مدة ليست بالقصيرة، فلما رأى جندُ الملك غَضَبَهُ على الهدهد ترهبوه وتراجعوا بعيداً عن مجلسه، وأخذوا يتناجون فيما بينهم؛ كل جنس على حدة، فقال زعيم البوم للنسر في صوت خفيض يقرب من الهمس:

– ويح الهدهد من غَضْبَة الملك.. إنه لطير غبي يلقي بنفسه في التهلكة.

– صدقت يا صديقي.. ولكنا جميعًا في موقف هذا الهدهد المسكين، فإن الحكمة تقول: ثلاثة لا يجترئ عليهن إلا أهوج ولا يَسْلَمُ منهن إلا قليل، وهي صحبة السلطان وائتمان النساء على الأسرار، وشُرب السُّم للتجربة.

– بلى.. بلى يا أخي.. لكن من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب، فلولا خدمتي للملك لما صِرت زعيم البوم، ومن ترك الأمر الذي لعلّه يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة لِما لعلّه يتوقاه فليس ببالغٍ عظيمًا.

وبينما هما في حديثهما الخافت إذ رأيا الهدهد مقبلاً يرفرف بجناحيه في الهواء مسرعًا، فلما دنا من مجلس الملِك استوى على الأرض ووقف غير بعيد.

فقال الملك سليمان عليه السلام:

ما دعاك إلى الغيبة عنا طوال اليوم، أقسم بالذي خلق البرايا لئن لم يك
عندك مني عذر يقين لأقتلنك شر قتلة، ولأجعلنك مثلاً وعبرة لكل م
عصى وتمرد!!.

هنالك ارتجف جسد الهدهد الصغير المسكين، وارتعدت مفاصله، وقا
في خضوع:

– رحماك أيها الملك.. والذي أجلسك مجلسك ومكنك في دولتك
وسخّر لك الخلائق ما أخرني عن مجلسك إلا وظائف خدمتك وأمو
طاعتك، ولكني أستسمحك أن تمهلني حتى أشرح لك عذري.. ثم ليك
في أمري بعدها ما تشاء وترى.. فقال سليمان عليه السلام محذّراً:

– تكلم أيها الهدهد.. وإياك أن تكذب عليّ، فإنك تعلم أن لسانك
إن نطق كذباً لا تلبث الريح أن تعلمني بصدق الخبر وحقيقة الأمر، فيشت
غضبي عليك وعقابي لك.

– لن أكذب عليك يا سيدنا ومولانا.. لقد تيمنت إلى مملكة سبـ
فوجدت القوم وملكتهم يسجدون للشمس من دون الله، وقد زين له
الشيطان أعمالهم، فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون.

سكت الملك سليمان عليه السلام ولم يُجب على الهدهد فور انتهائه من تقد

عذره.. كان سليمان عليه السلام حكيمًا حليمًا، وكان الهدهد شديد التأدب في حديثه، قوي الحجة، ظاهر الصدق والبيان.

لبث سليمان عليه السلام برهة ينظر إلى الهدهد.. ولبث الهدهد ينظر إلى يد مولاه، ولا يجرؤ على رفع عينيه إلى أبعد من ذلك تأدبًا وإجلالاً..

خرج الهدهد إلى خيمة الطيور بعد أن أمره مليكه بالانصراف. قابته الطيور قائلة:

– ماذا فعلت يا مسكين.. هل عفا عنك الملك سليمان عليه السلام؟

– لم يأمر في شاني بشيء.. لقد سكت وأمرني بالانصراف..

– ماذا قلت له عن سبب تأخرك عنه؟

– قلت له: إنني ذهبت إلى مملكة سبأ، ووجدت أهلها يسجدون للشمس من دون الله..

– وهل صدّقك يا مسكين؟

– لا أعرف .. ولكن لماذا لا يصدقني وأنا لا أكذب أبدًا.. ولم أكذب عليه...

ولماذا أكذب وأنا لم أذنب؟! لقد كنت في مهمة استكشافية، إنها

وظيفة كل هدهد؛ فما بالك وأنا خادم مولانا الملك سليمان عليه السلام؟!

وبينما يتحاور الطيور مع الهدهد إذ سمعوا من بعيدجنديًا يأمر الهدهـ بالتوجه إلى مجلس الملك سليمان عليه السلام، كان الهدهد يحب مليكه نبي الله سليمان عليه السلام ورغم ذلك كان يخشاه.. فالخشية منه تبجيل وإعظام لقدر ومنزلته..

دخل الهدهد على مليكه في أدب شديد قائلاً:

– السلام عليكم أيها النبي المكرم والملك العظيم..

مولاي حقًا لقد ذهبتُ إلى الاستكشاف دون إذنك ولكني في خدمتك يا سيدي، ومهمة الهدهد منا أن يخدم في مهمته دون كلل أ ملل، وقد كنت في خدمتك..

سليمان عليه السلام نبي، والنبي معصوم من الزلل والخطأ، وقد توعـ الهدهد عندما غاب، إن لم يأته بعذر مقبول ليعاقبنّه عقابًا شديدًا، ولك عندما أخبره عن سبب غيابه اقتنع بحجته، وأحس بالصدق في لهجته، فقر أن يختبر صدق حديثه، ولا يأخذه بغضبه.

قال سليمان عليه السلام للهدهد بعد تفكير قصير:

– ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

– أنا طوع أوامرك ورهن إشارتك يا نبي الله.

– ﴿اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

أخذ الهدهد الرسالة الملكية وخرج متوجها إلى بيته حيث كان المساء قد حل، وفي الصباح يتوجه بها إلى حيث أمره نبي الله سليمان أن يوصلها إلى ملكة سبأ.

obeikandl.com

نبذة عن مملكة سبأ

كانت ملكة سبأ بلقيس حكيمة عاقلة، تحكم بين الناس بالعدل، تقضي أمراً دون مشورة وزرائها، فالمشورة بين الملك ووزرائه ضرورة لاعتدا الحكم، وقد قيل: من استبد برأيه هلك، وكان عدلها مضرب الأمثال.

ومملكة سبأ حَكَمَها حكام كثيرون، وأول من حكمها هو سبأ، وق كانت اليمن في عهد سبأ تطل على صحراء شاسعة، لا زرع فيها ولا ماء وذ ت يوم نظر الملك من نافذة قصره؛ فوجد نظره يصطدم بالقفر والصحر أينما تحول، جمع حوله مستشاريه ووزراءه وقال لهم:

– لقد فكرت في استشارتكم لفعل أي شيء يحوّل تلك الصحاري م حولنا إلى أرضٍ خضراء بدلاً من ذلك الجدب المحيط بنا..

فقال له أحد المهندسين المهرة:

– صدقت يا مولاي.. ثم إن كمية المياه الضائعة كبيرة جداً، والأجد بنا أن نستغلها بدلاً من إضاعتها هدراً..

أشار المهندس والوزراء على الملك بإقامة سد عظيم يحجزون فيه مي الأمطار الوفيرة؛ لينتفعوا بها في زراعة الصحراء الفسيحة المحيطة بهم..

وبُني السد الرئيس.. وكثرت السدود الصغيرة من حوله، كثرت لكثرة الأودية وتعدد الجبال حتى جاوز عددها المئات، لكنَّ سد مأرب كان أقوها وأمتنها وأجداها نفعًا.

كانت مدينة مأرب تقع في نهاية واد فسيح يتجه إلى الجنوب، وتضيق رقعته قليلاً قليلاً.. حتى يكون أضيق ما يكون، ثم يمتد حتى يلتقي بمجرى السيول المنحدرة من جبال السُراة بمحاذات البحر الأحمر.

وفي هذا الوادي أقام الملوك العظام من سبأ سداً عريضًا منيعًا حصينًا، قويًا مكينًا، وجعلوا على جانبيه مصارف بطرق هندسية منتظمة، هيأت لهذا الوادي بفضل ما احتجزوه من الماء أرضًا خصيبة فيها زروع نضيرة، وحدائق ذات بهجة، واتسعت لديهم النعمة، وفاض عندهم الخير حتى أنساهم الشيطان الماضي القريب الذي كانوا يعيشون فيه في جدب وقحط.. تمردوا وأسرفوا في الذنوب..

ولقد ذكرهم الله في كتابه قائلاً:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

لقد أعرضوا عن شكر الله، وعن العمل الصالح، والتصرف الحميد فيما

أنعم الله عليهم، وكان العمران متصلاً بينهم وبين القرى المباركة؛ مكة في الجزيرة، وبيت المقدس في الشام، فقد كانت اليمن ما تزال عامرة في شمال بلاد سبأ ومتصلة بالقرى المباركة، والطريق بينهما عامر مطروق مسلوك مأمون: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾.

كان المسافر يخرج من قرية فيدخل الأخرى قبل دخول الظلام، فكان السفر فيها محدود المسافات، مأمونًا على المسافرين. كما كانت الراحة موفورة لتقارب المنازل وتقارب المحطات في الطريق، غلبت الشقوة على سبأ دعوا دعوة الحمق والجهل: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[سبأ:١٩]

استجاب الله دعوتهم: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾

إن شكر الله أساس دوام النعم وجحودها يزيلها.

وقد قيل: من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها.

تهدّم السد، ولم يستطع أن يحجز السيول المتدفقة، والأمواج المتلاطمة، وانطلقت المياه الحبيسة في الوادي وبين الشجر الكثيف، فغرق الزرع، وهلكت المواشي، وعاد الوادي كما كان صحراء مقفرة صامتة، لا نبات فيها سوى أشجار لا تثمر إلا كل مرٍّ بشع، لا غناء فيه، وهربت العصافير

والبلابل، وخلفها البوم يصيح فوق الخرائب.

أما السكان فإنهم هجروا ديارهم، وعادت البلاد خرابًا بعد أن كانت جنانًا وارفة.

و مرت سنوات طوال، وملكت بلقيس اليمن.. لكنها نسيت ما حدث لأجدادها عندما نسوا الله ولم يشكروه، كانت بلقيس وقومها يعبدون الشمس من دون الله، وكان لابد لهم من أن يأتيهم منذر من قِبَلِ الله، ولذا أوصل الله خبرهم عن طريق الهدهد إلى نبي الله سليمان عليه السلام، فيا تُرى ماذا حدث بعد أن تسلم الهدهد الأمين رسالة مولاه العظيم؟.

اجتماع خطير

طار الهدهد في الصباح الباكر بالرسالة إلى مملكة بلقيس، كان يفكر في أمر تلك المملكة وما عليه أهلها من الضلال المبين .. طار مدة يومين متواصلين، كان لا يرتاح إلا دقائق معدودة فوق غصْن شجرة من الأشجار، وصل الهدهد المخلص إلى قصر الملكة بلقيس، كان قصراً عظيمًا منيعًا، وكان يتوسط حدائق غناء، تغرِّد فوق أشجارها البلابل، وتصدح في أرجاء المكان الطيور بأعذب الألحان الدالة على عظم قدرة الخالق المبدع.. لكن الناس كانوا في غفلة عن عظمة خالقهم، ونسوا عبادته، واتجهوا لعبادة غيره..

وقف الهدهد على شباك غرفة نوم الملكة بلقيس.. وأخذ يفكر كيف يلقي إليها الرسالة؟ وبينما هو كذلك. إذ صفقت بيديها، ففتحت الباب وصيفة جميلة، ودخلت إلى مخدع الملكة، فقالت لها:

أخبري حاجبي الخاص أن يبعث في طلب الوزراء.. فاليوم يوم اجتماعنا الأسبوعي. خرجت الوصيفة من الغرفة. ووجد الهدهد أن الفرصة سانحة لكي يلقي الرسالة، كان الشباك الذي يقف على حافته الهدهد فوق فرائس الملكة.. أسقط الهدهد الرسالة المختومة بخاتم نبي الله سليمان عليه السلام.. ثم اختبأ في ركن الشباك المطل على الحديقة حتى لا تراه الملكة..

وقعت الرسالة في حجر الملكة، انزعجت للمفاجأة، وقامت من فراشها منزعجة.. ثم تمالكت نفسها، وفتحت الرسالة وقرأت ما بها بصوت سمعه الهدهد.. ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[النمل: ٣٠].

لبست الملكة لباس المُلك، وخرجت إلى مجلسها الذي تجتمع فيه مع وزرائها وقادة جيشها، تقدمت من كرسي عرشها وجلست وانعقد الاجتماع.

نظرت بلقيس إلى مستشاريها وقالت:

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾[النمل: ٢٩ - ٣٢].

ظل القوم ينظرون للملكة في انتظار ما ستعقب به.. هل ستأمرهم بالحرب.. هل ستسلم كما دعاها سليمان.. ومن هو سليمان..

قال كبير الوزراء:

– أيتها الملكة العظيمة.. من هو الملك سليمان؟

– لست أعلم عنه أكثر مما تعلمون.. أريد مشورتكم.. لقد قرأت على مسامعكم الرسالة.. فبم تشيرون عليّ؟!

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٣ - ٣٥].

انفض الاجتماع عن قرار حكيم - كما ظنت الملكة وحاشيتها - جهزوا هدية عظيمة؛ جوار حسان، وصناديق مليئة بالذهب والجواهر.. وسار الركب إلى سليمان الحكيم عليه السلام.

وفوق كل ذي علمٍ عليم

انطلقت القافلة اليمنية محملة بأجمل وأعظم الهدايا الملكية إلى نبي الله الملك سليمان عليه السلام.. ومكثت الملكة بلقيس في قصرها قلقة يزعجها الترقب، فهي لم تتعامل قبل ذلك مع الملك سليمان عليه السلام.. لا تعلم كيف يفكر.. لا تعلم مدى اتساع مملكته، لا تدري شيئًا عن عدد جيشه وحجم قوته، والملوك يجب أن يعرفوا كل شيء عن الممالك المجاورة لهم حتى يأمنوا شرورها، وفجأة وبينما هي في شرودها إذ دخل عليها وزيرها الأمين شرحبيل.. تقدم من كرسي العرش العظيم وقال:

– سيدتي ومولاتي.. لقد وقفتُ طويلاً بباب جلالتك أنتظر الإذن منك بالدخول، فلما مكثت طويلاً لا يأتيني ردُّك قلقت عليك.. ماذا بك يا مولاتي.. مالي أراكِ مهمومة حزينة؟!

– أنا لستُ حزينة يا وزيري الأمين، ولكني أفكر في أمرنا مع الملك سليمان.

– لقد بعثتِ له يا سيدتي بالهدايا، وسننظر كيف سيكون رده علينا، وأنا لا أخشى على أنفسنا منه، فنحن قد رددنا على رسالته بهدايا قيمة وبداية صداقة، فلماذا يحاربنا بل لماذا نخشى بأسه إذن؟!

– يا وزيرنا الأمين، إن للملوك أموراً مُنكرة تنكرها العقول، وربما رأى

هدايانا الثمينة فطمع في ثروات بلادنا الغالية، فلا يلبث أن يأتينا بجيوش جرارة للاستيلاء على بلادنا والقضاء على مُلكنا...

– صدقتِ يا مولاتي.. ولكن لماذا نتعجل الأمور.. فلننتظر ردّه..

وصلت الهدايا إلى سليمان عليه السلام.. نظر النبي الكريم إليها باحتقار وقال لرسل الملكة بلقيس:-

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦].

ثم أمر جنوده أن يخرجوا أولئك الرسل من قاعة الحكم، ثم قال لكبير قواده:

-﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

قال سليمان عليه السلام لقائده قولاً حكيمًا لا ينبغي أن يقال غيره في مثل موقف كهذا، لقد استهانت تلك الملكة بسليمان عليه السلام.. لقد ظنته ملكًا عاديًا يطمع في عَرَض الدنيا الزائل.. ظنت أنه في حاجة إلى هداياها.. لم تكن تعلم أنه أغنى بفضل ربه من كل ملوك الأرض، وليس بحاجة إلى أموال مملكتها الفقيرة بالنسبة إليه.. إن سليمان عليه السلام قبل أن يكون ملكًا كان نبيًا

من أنبياء الله، والأنبياء لا ينظرون إلى الدنيا ومتاعها.. إنما أراد سليمان عليه السلام من رسالته لها أن يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وأن يبعدهم عن الشرك وعبادة الشمس.. لذا فقد أمر بإرجاع هديتهم إليهم، وهددهم بما آتاه الله من قوة، ليعلموا أن ملكه لا يضاهيه ملك على وجه الأرض.

دعا الملك الحكيم سليمان عليه السلام ذوي العلم في بلاطه وقال لهم:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣٨].

رد عليه عفريت من الجن قائلاً:

﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ [النمل: ٣٩].

كان سليمان عليه السلام في فلسطين والعرش باليمن.. مسافة طويلة جداً.. لكن العفريت ادعى أنه يقدر على فعل هذا الشيء الخارق.. سكت سليمان عليه السلام مليًّا.. فقال الذي عنده علم من الكتاب:

﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: ٤٠].

كان عرش بلقيس عظيمًا عجيبًا، بل أعجب ما في مملكة الملكة بلقيس.. كان مصنوعًا من الذهب والجواهر الكريمة، وكانت حجرة العرش وكرسي العرش آيتين في فن الصناعة والسَّبْك.. وكانت الحراسة لا تغفل عن العرش لحظة..

وفعلاً قبل أن يرتد إلى سليمان عليه السلام طرفه وجد العرش مستقراً عنده.. سجد سليمان عليه السلام لربه وقال شاكراً:

﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

ثم قال لجنوده الملتفين حوله:

﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١].

أمر جنوده أن يغيروا شيئًا يسيراً في هيئة العرش، لينظر هل ستتعرف بلقيس على عرشها الذي تركته خلفها أم لا..

لقد وصل إليها رسلها وأخبروها برد سليمان عليه السلام وباحتقاره لهداياها.. فتجهزت للذهاب إليه وانطلقت إليه خائفة من لقائه بعدما تيقنت أنه غير الملوك الآخرين... فيا ترى ماذا سيحدث لها عندما ترى العرش؛ بل وترى مُلك سليمان عليه السلام رأي العين؟!

الرحلة الشاقة

سارت بلقيس ملكة اليمن بجنودها ووزرائها نحو فلسطين؛ لتقدم فروض الولاء والاستسلام إلى الملك سليمان عليه السلام، كانت تسير بالنهار وتركن إلى الراحة بالليل، لكن لم يكن النوم يعرف سبيلاً إلى عينيها؛ لأن إحساسها بالذل والمهانة جرح كبرياءها، وجعلها تتمنى الموت قبل أن تدخل على ذلك الملك العظيم الذي أخضعها دون حرب.. إنه برفضه هداياها وبتهديده الذي أرسله لها مع رسلها قد أعلن عليها حربًا لا طاقة لها بها، وقد كانت الملكة بلقيس حكيمة عاقلة لا تكابر، ولا تدعي أنها أقوى ممن تعلم علم اليقين أنه لو حاربها لقهرها هي وقومها..

لقد علمها أحسن المؤدبين، وتربت على أيدي علماء أجلاء من قومها، وكان من أفضل ما تعلمته أن الكبر يذهب بالمحاسن، فمن اتصف بالإعجاب كان من الحسن والرشد بعيداً.

فكرت بلقيس في حالها فوجدت أنها ورثت المجد والفخر والملك عن أبيها، فبأي شيء تغلَّب عليها سليمان عليه السلام، لابد أنه قد مُيِّز بشيء عظيم غلبها به؛ وإلا فمن أين أتته كل هذه العظمة والقوة؟

أيكون ذلك الشيء هو الصلاح والرشاد؟ أفيكون أكثر منها صلاحًا ورشداً؟ إنها تفعل كل ما تظن أن فيه الخير لها ولقومها، وهي لا تظلم أحداً

من قومها، فبماذا تفوق عليها؟ لقد أعطاها معلمها درسًا وهي صغيرة حُفِر في ذاكرتها، فهي تهتدي بهديه في حكمها للناس، قال لها:

– يا بنيتي، إنه لا قيمة للتكبر.. تأملي في هذه السنبلة التي ترفع رأسها متعاظمة، تجدينها فارغة خاوية، وانظري إلى الأخرى التي تخفض رأسها تجدين أنها مملوءة قمحًا جيدًا.

اعلمي يا بنيتي، أن مثل العالم المتواضع والجاهل المتكبر كمثل هاتين السنبلتين؛ فالعالم كسنبلة مملوءة بالغلال تحني رأسها لكثرة ما فيها تواضعًا، أما الجاهل المتكبر فهو كسنبلة فارغة ترفع رأسها نحو السماء لخفتها وقلة ثمرتها.

وبينما بلقيس في شرودها إذ سمعت جلبة خارج خيمتها، ثم دخل عليها أحد الجنود قائلاً في ذعر شديد:

– أدركينا يا مولاتي، إن عاصفة رملية شديدة قد هبّت علينا، ونخشى أن تذهب بأمتعتنا وطعامنا..

– ماذا تقول؟ أسرع أنت ورفاقك بجمع الأمتعة كلها في خيمة واحدة متينة، واربطوا الخيل والجمال إلى الأرض حتى لا تجري في الصحراء؛ فتضيع إلى الأبد، ونهلك بعدها في الصحراء.

– أمركِ يا سيدتي..

استمرت العاصفة ليلتين كاملتين، فتعب الجند تعبًا شديدًا، وهربت بعض الخيل إلى الصحراء، ومرضت الملكة مرضًا شديدًا، ورقدت في فراشها وحولها الجواري وطبيبان ماهران.. حاول الطبيبان جاهدَين أن يخففا عنها آلامها بكل ما يعرفان لمثل حالتها؛ إلا أن حالتها كانت في تدهور مستمر بسبب خوفها من بطش الملك سليمان عليه السلام..

وبعد أن هدأت العاصفة الرملية واستقر جو الصحراء دخل على الملكة أشهر حكماء سبأ، فألقى عليها التحية ودعا لها بالشفاء ثم قال:

– أيتها الملكة العظيمة.. ماذا يحزنك..؟ إن الطبيبين قد عجزا عن مداواتك، إن كان ما بك خوفًا من السلطان الذي أنت مقبلة عليه فاعلمي أنك إن دخلت عليه طائعة مستجيرة به، معتذرة عما بدا منك من سوء تقديراً له؛ عفا عنك، وألبسك لباس الكرامة والعفو والعزة، وأرجعك إلى بلدك مكرمة متوجة...

فقالت الملكة وعينها دامعة:

– إنما أحزنني ما رأيت نفسي فيه من غربة ومذلة وتيه في الصحراء ووحشة؛ وقد كنت في بلادي وعزتي وعرشي.. أحزنني تقلب حالي وتغير هيئتي.

فقال لها الحكيم:

– الدنيا دائمًا تتقلب بأهلها يا مولاتي.

قُومي إلى جندك، وتجلدي فإن بعد العسر فرجًا قريبًا...

obeikandl.com

الملك الحكيم والنبي الشاكر

دخل الملك سليمان عليه السلام إلى مضجعه ليلاً لكن النوم لم يجد إلى عينيه سبيلاً كان يفكر في النعمة الكبرى التي أنعمها الله عليه، لقد تذكر عندما ابتلاه الله منذ زمن بمرض شديد عجز عن علاجه منه جميع الأطباء.. لكنه كان لا يترك ذكر الله أبدًا، كان دائم الحمد والتسبيح، وهكذا أخلاق الأنبياء دائمًا، يصبرون على الضيق والمرض، ويشكرون الله في حالة السراء والنعمة؛ فالصبر على البلاء من أحب الأعمال إلى الله تعالى، وقد قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وهكذا كان سليمان عليه السلام صابرًا حكيمًا، يتفكر في ملكوت الله ويذكره بقلبه وعقله قبل لسانه، أحضرت له الطيور أعشابًا طبية من أطراف الأرض فلم يُشف، لأن الدواء سبب، لكن هذا الشفاء لا يتم إلا بإرادة الله تعالى، كان سليمان عليه السلام يجلس على كرسي عرشه عاجزًا عن الحركة، كل ما فيه ساكن عدا لسانه الذي يذكر به ربه تعالى، وفجأة أتى الشفاء كما أتى البلاء أيضاً فجأة...

شفى الله سليمان عليه السلام، تم الشفاء برحمة الله وفضله فقط، شكر سليمان عليه السلام ربه تعالى...

وبينما سليمان عليه السلام يفتح عينيه بعد ليلة باتها مسهداً قلقًا سمع طرقًا على باب حجرته، فأذن للطارق بالدخول.. قال الداخل وكان أحد الجنود:

– مولاي، لقد انتهى البناة من بناء مسجدك الذي أمرت ببنائه ليعبد الناس فيه الله تعالى وحده.. لقد أصبح آية من آيات فن العمارة.

– أخبر القوم أني قادم لأراه.. جهزوا مركبي...

تجهز سليمان عليه السلام، وخرج إلى المسجد الجديد.. لقد مرت شهور على أمره ببنائه.. كان قد فكر في بنائه شكراً لله على نعمة شفائه له..

ونظر سليمان عليه السلام إلى البناء العظيم، ودخله وصلى فيه شُكراً لله عز وجل..

تذكر سليمان عليه السلام كفر أهل سبأ وملكتهم بلقيس.. التفت إلى وزيره عبدالله وقال له:

– أيها الوزير، مُرِ البنائين ببناء صرح من الزجاج، وضع ماء في ممره، واجعل عليه سقفًا من زجاج، وضع فيه سمكًا وغيره من دواب الماء.. عسى أن تراه الملكة بلقيس؛ فتتيقن أن الملك الذي أعطانا الله إياه إنما هو بفضل الإيمان بالله.. عسى الله أن يهديها سواء السبيل...

الله يهدي من يشاء

وصلت بلقيس إلى قصر الملك سليمان عليه السلام، كانت مرهقة يبدو عليها إعياء شديد، ورغم ذلك لم يخف جمالها عن العيون، دخلت على الملك منفذة لوصية وزيرها الحكيم، الذي أمرها أن تتواضع حين دخولها عليه. لفت جنودها الملتفون حولها نظرها إلى أن هناك عرشًا يشبه عرشها أشد الشبه؛ لكنهم استبعدوا – بطبيعة الحال – أن يكون هو نفسه عرش ملكتهم.. دُهشت الملكة دهشة عظيمة حين نظرت إلى العرش المنصوب أمامها.. لاحظ الملك العظيم سليمان عليه السلام دهشتها فابتدأها بالحديث:

– أهكذا عرشكِ؟!

– كأنه هُو!!

فأجابها أحد رجال سليمان عليه السلام المخلصين:

– بل هو عرشك أيتها الملكة المعاندة.. ادخلي الصرح...

ترددت قليلاً.. أتدخل دون إذن الملك... قال لها سليمان عليه السلام:

– ادخلي الصرح أيتها الملكة...

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ

إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

دخلت الملكة الصرح.. وجدت نفسها بداخل قصر من البلور، أقيمت أرضيته فوق الماء، وظهر كأنه لُجة، فكشفت عن ساقيها، فلما تمّت المفاجأة كشف لها سليمان عليه السلام عن سرِّها،قال:

– إنه صرحٌ ممردٌ من قوارير.

بهتت بلقيس.. وألقت بنظرها إلى العرش.. كانت مفاجأة ضخمة.. كيف تحرك عرشها من مكانه وحوله حرّاسه؟!

وكيف يمكن أن يكون غيره وهو عرش لا يمكن تقليده.. كان عرشًا مصنوعًا بطريقة غريبة عجيبة، لا يمكن أن يهتدي لتقليده إلا صانعوه..

جلست الملكة وقد أحسّت بُدوار شديد.. أصابها الخوف من هذا الملك الذي يأتي بالمعجزات...

قالت في نفسها:

لابد أن له قوة كبيرة تسانده.. إن ما يأتي به لا يتسنى لأي ملك عادي من ملوك الأرض.. ماذا بوسعي أن أفعل؟!

حان وقت صلاة العصر.. قام سليمان عليه السلام ليؤم قومه في الصلاة.. مكثت بلقيس خلفهم تنظر إليهم، إنهم يصلون صلاة غريبة لم ترَ مثلها من قبل.. إنهم لا يسجدون للشمس ولا لأصنام أمامهم.. إنهم يدعون معبوداً لا تراه أمامهم.. يقولون.. «الله» من هو الله؟!

أنهى سليمان عليه السلام صلاته.. ثم ذهب إلى مجلسه.. أتت وفود من شعبه.. وفود غريبة.. أتى أولاً وفد الصقور.. تلك الطيور الجارحة القوية؛ لكنهم لم يقتربوا منها.. ذهبوا نحو كرسي سليمان عليه السلام وحيَّوه تعظيماً وإجلالاً له.. تحدثوا معه بلغتهم وكان سليمان عليه السلام يرد عليهم بلغته.. عجبًا!! أيخاطب ذلك الملك الطيور...؟!

وبعد مدة.. خرجوا.. ودخل وفد الأسود والنمور والدببة.. خافت الملكة وحاشيتها؛ لكنها لم تبدِ أي علامة تدل على خوفها؛ كانت تعتز بنفسها وبكرامتها.. أنهى سليمان عليه السلام حديثه مع وفود شعبه.. ثم التفت إليها.. رأت في عينيه عزة وتواضعًا في آنٍ واحد... كان مصدر عزته إيمانه بربه.. وكان تواضعه ينمو كلما زادت نعم الله عليه، علم سليمان عليه السلام أنّ الملكة تريد أن تعرف كيف علم سليمان عليه السلام بأمرها..

جاء أمرٌ للهدهد أن يَمْثُلَ أمام الملك في التو واللحظة...

دخل الهدهد على مليكه.. نظرت الملكة إليه وهي تعجب من أمره.. أيكون هذا المخلوق الضعيف بين جنود الملك العظيم؟!

تقدم أحد الجنود من الهدهد، وأمره أن يحكي للملك مرةً أخرى كيف وصل علمه إلى ما يعبد أهل سبأ؟!

بدأ الهدهد حديثه وهو ينظر إلى أقدام الملك سليمان عليه السلام.. كان يعظم مولاه الملك ويخشاه.. كان يعلم أنه نبي من أنبياء الله.. ففهم سر طلب الملك منه في أن يحكي أمره مع شعب سبأ.. فهم أن الملك يريد أن يدعو الملكة إلى الدين الخالص لله بوسيلة ذكية... حتى تفيق من غفلتها، وتشهد بعظمة الله التي ليس لها حدود...

سمعت بلقيس حديث الهدهد.. كانت في دهشة عظيمة.. كيف يكون هذا المخلوق الضعيف رسول ذلك الملك العظيم؟!

لم تستطع أن تكابر أكثر من ذلك.. تقدمت من سليمان عليه السلام وقالت له:

– أيها الملك العظيم.. لقد فهمت ما تريد أن تبلغه لي.. لقد اقتنعت بما تدعوني إليه.. إن الإيمان ينبغي أن يكون بالله وحده...

لقد رأت بلقيس عند سليمان عليه السلام الكثير من عجائب صنع الله في الكون.

كان الذي صدها عن عبادة الله أنها كانت في بيئة كافرة، ولم تبلغم الدعوة، ولم يدْعُهم رسول من عند الله...

خرّت بلقيس ساجدة لله وحده.. دمعت عيناها وهي تشهد أنه «لا إله إلا الله».

قالت بلقيس بعد أن قامت من سجودها:

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

كل مُلْك إلى زوال

قال رسول الله ﷺ: **قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة بمائة امرأة، تلد كل امرأة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله، قال: ونسي أن يقول: إن شاء الله، فأطاف بهن. قال: فلم تلد منهن امرأة إلا واحدة نصف إنسان. فقال رسول الله ﷺ: «لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركًا لحاجته»**(١).

لقد كان لسليمان عليه السلام ثلاثمائة امرأة غير الجواري، لقد وهبه الله كل خير الدنيا إلى جانب ما أعده له من ثواب في الآخرة، يقول تعالى: ﴿**هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [ص: ٣٩].

كان الجن قد عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما..

ومهما بلغ مُلك سليمان عليه السلام.. إلا أنه كان لبشر سخّر الله له كل شيء لحكمة يعلمها سبحانه، وكل بشر لا بد يومًا سيموت.. فليس هناك مخلوق مخلّد ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾.

ذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام، وكيف عمَّى الله موته على

---

(١) رواه البخاري (٥٢٤٢).

الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة؛ فإنه مكث متوكئًا على عصاه – (منسأته) فترة طويلة، فلمّا أكلتها دابّة الأرض – وهي الأَرَضة – ضعفت العصا وسقط إلى الأرض، وعلم الجن أنه مات قبل ذلك بمدة طويلة، وتبينت الجن أنهم لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس.. وأيقن الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب والعمل الشاق المُهين.

فرح الجن لموت سليمان عليه السلام لأنهم كانوا يخافونه، وشكروا للأرضة صنعها، حيث إنها هي التي دلتهم على موت سليمان عليه السلام الحكيم.

وقد عاش سليمان عليه السلام اثنتين وخمسين سنة، وبعد موته تفرقت مملكة بني إسرائيل.. فكل مُلْك في الدنيا إلى زوال...

عبر ودروس في قصة سليمان عليه السلام وبلقيس

العدل أساس الملك، والحق ثبات الحكم، والتواضع سمة الصالحين من عباد الله، فالله يهب الملك لمن يشاء ويهب النعم لعباده ليرى آثار ذلك عليهم وفيهم، فإذا عدل الحكام وتمسكوا بالحق، ورحموا خلق الله وتواضعوا لهم فإن الله يقوي ملكهم ويثبت حكمهم ويعلي قدرهم، وهذا ما نراه في هذه القصة التي تعالج هذه القضية وقضايا أخرى في ثنايا القصة ونحن -بتوفيق من الله - نوجز العبر المأخوذة منها فيما يلي:-

١- الملك الذي لم يوهب إلا لسليمان عليه السلام، فقد جعل الله له ملكًا واسعًا وسخر له الطير والجن والريح، وعلمه منطق الطير، وآتاه الله من كل شيء فكان من الشاكرين لله الداعين إليه، فلم تغيره النعمة، ولم تبدله قوة الملك وهيبة الحكم؛ لأنه عرف أن كل شيء من عند الله، وأنه سبحانه وتعالى بيده مقاليد السموات والأرض يهب الملك لمن يشاء وينزعه عمن يشاء.

٢- من الأمور المهمة أن يكون أعوان الحاكم من الصادقين في قولهم، المخلصين في أعمالهم فلا يقولون إلا الحق، ولنا في قصة الهدهد مع سليمان عبرة في ذلك حيث أكد أنه لم يقل إلا الحق ولم ينقل إليه إلا الخبر اليقين.

٣- التوحيد في العبادة، والتدين فطرة جعلها الله في كل كائن حي سواء أكان إنسانًا أم حيوانًا، حتى الجمادات تسبح بحمد الله. وقد رأينا

ذلك جليا في حديث الهدهد عن الله سبحانه وتعالى وأنه وحده المستحق للعبادة دون غيره وقد أقام الدليل على ذلك، فإذا علم الإنسان هذه الحقيقة فلماذا يخالفها؟ أفلا يكون هو الأولى بتوحيده لله بعد أن فضله الله على كثير ممن خلق، وبعد أن سخر له كل ما عداه، هذا درس يجب أن نعيه وعبرة لابد من الاتعاظ بها.

٤- شكر الله على نعمه أساس دوامها، وسر زيادتها، أما كفرانها فسبب زوالها، وهذه العبرة واضحة في هذه القصة؛ لذا يجب علينا أخذ العبرة من ذلك فنشكر الله المنعم على نعمه حتى يزيدها ويبقيها، هذا في الدنيا أما في الآخرة فلنا الثواب العظيم، فشكرنا يعود علينا نحن بالخير، وكفرنا يعود علينا أيضًا بالسوء والشر، والعاقل من يختار لنفسه ما فيه خيره في الدنيا والآخرة.

٥- الشورى من أهم مبادئ الإسلام لقواعد الحكم السليم والأساس الصحيح لتسيير دفة الحكم واتخاذ القرار الصائب، وهذا المبدأ هو ما رأيناه عندما وصلت إلى بلقيس رسالة سليمان عليه السلام لدعوتها هي وقومها إلى عبادة الله وحده حيث جمعت كبار قومها وأخذت تشاورهم فيما يفعلون.

وهذا ما يجب أن يسير عليه أولو الأمر وكل مسؤول في موقعه أيًّا كان هذا الموقع حتى تنتظم الأمور وتسير سيراً حسنا.

٦- ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ هكذا نأخذ العبرة من هذه القصة

التي تتجلى في إحضار عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين، فمكانة أهل العلم عند الله عالية، وقدرهم عظيم فلقد أحضر من عنده علم من الكتاب العرش في طرفة عين، وهذا يجعلنا نقوي صلتنا بالله بالعلم النافع الموصل لخير الناس وخير أنفسنا.

٧- الاستجابة لداعي الحق من واجب العقلاء، فإذا ظهر الحق وجب علينا اتباعه، وهذه الاستجابة للداعي إنما هي هدى من الله وتوفيق منه تعالى. وهذا درس نتعلمه من اتباع بلقيس وقومها للحق عندما دعاهم سليمان عليه السلام إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين، فسبحان الله يهدي للحق من يشاء وهو على كل شيءٍ قدير.

٨- لا يعلم الغيب إلا الله وحده سبحانه وتعالى، أما المخلوقات الأخرى مثل الجن والملائكة فإنهم لا يعلمون شيئًا؛ ولذا يجب علينا أن تكون هذه العقيدة ثابتة لا تقبل الشك وأن تترسخ في نفوسنا وقلوبنا، ولقد رأينا في هذه القصة دليلا عملياً على ذلك يتجلى في عدم معرفة الجن بموت سليمان عليه السلام حتى سقط عن عصاه بعد أن أكلتها حشرة صغيرة جداً، أفبعد هذا يعتقد بعض ضعاف الإيمان في قدرة بعض الخلق على علم الغيب؟!

فيجب علينا البعد عن هذه الخرافات.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
وورث سليمان داود عليهما السلام	٩
الملك العظيم	١٢
النبأ اليقين	١٦
نبذة عن مملكة سبأ	٢١
اجتماع خطير	٢٥
وفوق كل ذي علم عليم	٢٨
الرحلة الشاقة	٣٢
الملك الحكيم والنبي الشاكر	٣٦
الله يهدي من يشاء	٣٨
كل ملك إلى زوال	٤٣
عبر ودروس	٤٥
المحتويات	٤٩

obeikandl.com